



تصميم الغلاف: محمد جمال حسين

أكبتها  
فصرت نبأ

محفى الحفاوي

أحببتها فصرتُ نبعاً

قصائدٌ شعرية

مصطفى الحفناوى

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر الإلكتروني

<http://book-juice.com>

أم الدنيا

المؤلفة : هشام الطيب

تصميم الغلاف : محمد جمال حسين

نشر في : ديسمبر 2014



# اهداء<sup>٢٤</sup>

الى من أيقظت القلب في جسدى  
ليخطو أول خطواته صوب الحياة المفعمة بالحب والجمال  
الى حبيبتى النجمة الساطعة فى سماء الأمنيات والأغنيات والشعر  
اهداءً الى التى كتبتنى فكتبتها  
هى بين أيديكم الآن فحافظوا عليها  
اهداءً لـ ن.م.ح

---



## مقارنةُ الطين

الطرقاُتُ المهجورةُ في بلدتنا الريفية  
والصفصافةُ  
وجراخُ الأرضِ الناتجةُ عن الماءِ وعرباتِ الكارو  
والدكانُ الخشبِيُّ الباب  
والمصطبةُ الطينيةُ  
كلُّ يذكُرني  
رغم غيابي منذ كثير  
حتى حين لبستُ المعطفَ  
والقبةَ الفرو  
لم يتضايقُ أحدٌ أبدا  
مازلتُ الابنُ القروي  
ابنُ الضوءِ ورائحةِ الحطبِ المحترقِ  
ابنُ الأسمارِ الليليةِ والشايِ الريفى  
لم أتغيرُ  
لمجردِ أنى سافرتُ بعيداً  
وحضنتُ الأسفلتِ وامرأةَ شقراءِ بلا طرحة  
ورشفتُ نبيذاً يونانيَّ  
بعد ال "موستارد كروستد لامب "  
مازلتُ أحبُّ الفولِ المفعمَ بالشطةِ  
واللحمةَ سابحةً في طبقِ البازلأءِ  
وعصيرِ القصبِ وكوبِ الشايِ المعتدلِ السكرِ بعد الأكلِ  
وأروحُ الى المجرى عَصراً

كى أبصرَ فتياتِ القريةِ يغسلن العمرَ ثيابا  
والأطباقَ وسجادَ البيت  
لم يتغيرَ مفهومُ الدينِ بعقلى  
بعد قراءةِ كلِ حروفِ السيد " ماركس "  
مازلتُ أصلى  
وأنا أعرفُ أنّ اللهَ الحبُّ  
أن الانسانيةَ كانت بدءا  
أو تمهيدا للودعاءِ على الأرض  
لم أتغيرُ  
لا يتغيرُ شخصٌ  
نامَ صغيراً فوقِ سطورِ الشمس  
حتى أينعَ فيه العقلُ  
وصار الظهرُ مصداً للغرباءِ وللريح  
أحلامى كبرت  
فى العاصمةِ المفروشةِ بالنورِ الأصفرِ كالصحراء  
ومحلاتِ الذهبِ المرصوصة  
كعساكرِ شطرنج  
صالاتِ البلياردو  
والسفنِ الساكنةِ لعشاقِ الليل  
وميادينِ القادةِ والمشهورين  
ومحطاتِ البنزين  
أحلامى كبرت حين قطنت هناكَ لخمسِ سنين  
لكن الجذرَ الأولَ للأحلام  
نبتَ  
بجوارِ البقرةِ  
فى الطينِ..

مازلتُ أنا  
مازلتُ الباحثَ عن وجهِ الموتِ  
وهو العنوانُ المجهولُ بهذى الأرضِ  
نتغيرُ أو لا نتغيرُ  
يحملنا فوقَ جناحيه لمملكةٍ  
نتغيرُ فيها .. نغيرُ باستمرارِ  
حتى نصبحَ ارواحاً حرةً  
لا أرضَ لها تولدُ فيها  
كيلا نتذكرَ شيئاً من ماضيها  
وتعيش بخفةٍ  
بين الايقاعاتِ المختلفةِ  
وأماكنها المجهولةِ

---



يوما ما كنتُ وكانت.....

أعرفُ ان شفاهكِ  
 لم ترحلُ عن شَفَتَيَّ  
 لم أنسَ الأَمْسَ وما حدثَ هناكَ  
 على أرضيةِ تلكِ الحجرةِ  
 بجوارِ المصباحِ المتلاليِّ كالحنطةِ في الشمسِ  
 كانا الجسدانِ الملتحمانِ من البردِ القارسِ  
 مندفعينِ كَمُهْرَيْنِ من الصحراءِ العربيةِ -

قد نضحاً  
 عرقاً رَطَّبَ أروقةَ النارِ  
 والكأسُ المتترقُّ خلفَ الشمعةِ  
 تتراقصُ فيه القطراتُ  
 تتنفسُ ثلجاً  
 سيدفئنا  
 حين يلامسُ شفَتينا  
 كان الأَمْسُ اليومَ الأفضلَ في العامِ  
 حين أزحتِ الشعرَ الناعمَ  
 عن أذنيكِ  
 ولامستِ العنقَ الأبيضَ  
 كنتُ أخافُ بحقِ  
 أن أتحوّلَ - من احساسِ المتعةِ والنشوةِ -  
 عصفوراً أو زهرةَ جاردينيا

ولذلك كان الكفُّ يعانق كأسَ الشمبانيا  
بين الفينة والفينة  
وأتابعَ حركاتِ الجسدِ على شَرشَفِنَا  
ثعبانٌ ذهبيٌّ يتلوى  
أذكرُ أن شفاهَكَ كانت تسحبني  
كالجزرِ الى منتصفِ البحرِ المضطربِ الموجِ  
الساخنِ كالماءِ الوردى  
في حمامِ تركيِّ عامٍ  
كنتُ أغوصُ أغوصُ أغوصُ  
المسَ لؤلؤتينِ مكورتينِ  
ناعمتينِ كقشرةِ موزِ  
أخرجَ رأسيَ للأعلى  
أتنفسُ من شفتيكِ القبلاتِ  
كيلا ينقطعَ النفسُ المجهدُ  
في القاعِ المملوءِ بأعشابِ البابونجِ  
اذكرُ أن الهاتفَ لما رنَّ  
لم يزعجنا  
كنا زومبيين  
في غاباتِ الضوءِ الأحمرِ  
نلتهمُ العقربَ في دائرةِ الوقتِ على الحائطِ  
نمشي عُريانيين من الملبسِ والعالمِ  
من كلِ خيوطِ الأمسِ الباكي  
من عاداتِ الشرقِ المفعمِ باللامفهومِ  
نمشي عُريانيين من الأسماءِ  
من ماديةِ هذى الدنيا  
وأموارِ العامةِ والخاصةِ

عريانيين وملتصقين امام الشباك المفتوح على القرية  
والنسمات وعيدان القمح  
كان الأمسُ خليجِ الأملِ ومشنقة اليأس  
ألبوماً لمئات الصور معاً  
في أجمل ساعاتِ الانسان ضراوة

---

## البحيرة المنسية

فى بحيرتنا القديمة  
عند الحقول وقارب نعان  
أجهدهُ النهارُ فنام مفروداً الذراعين --  
تغفو الزنايقُ  
كى تفيقَ اذا اتيتُ أتابعُ البدرَ  
الذى قفزَ  
كأطفالٍ قريتنا ليسبحَ عارياً  
من ثوبه الشفافِ  
وغيمه المتراصِ فوق نتوته فى الماءِ  
تأتى الحروفُ على سرير العشب امرأةً  
يغازلها الندى  
شعرها فى الروح مُسدلٌ  
لو مشطهُ  
لكانَ شعراً  
لكنَّ هذا الليلَ يحتاجُ التانى....  
فالتلجُ سوف يذوب فى الأعلى  
وتسقطُ فكرةً فى الماءِ  
أرسل مركبَ اللبِ الذى مجدافه العينُ  
وأحضرها  
أضفرها بشعرِ حروفى الحلوة  
وأنظرُ  
ستشعُ من بينِ السطورِ قصيدةً  
تزملها الرياحُ من الظلام

تميسُ كلُّ سنابلِ القمحِ التي  
شعرت بها  
وتهفهفُ الأشجارُ والأزهارُ  
كلُّ يقول لها تعالى  
أنتِ القصيدة من ستبقى  
بعد أن يفنى حبيك في الترابِ  
لا نحنُ بل أنتِ  
عند البحيرةِ  
كلُّ شيءٍ لا أراه كما يرى  
العشبُ منتظمٌ وملتصقٌ  
فيبدو كالسماءِ بلونه الأخضر  
ناعمٌ  
كشرشفٍ مخدعي  
مبتلٌ.....  
كجسمٍ حبيتي  
حين ينضحُ في سباقِ شفاها عرقا  
والماءُ لما تأتته النسماتُ من أقصى الشمال  
يجرى كطفلٍ في سهولة  
هادئٌ متفرقٌ  
وينير في القاعِ الحصَى فيلونهُ  
عند البحيرةِ  
البحيرةُ قد تُرى رئةً لهذا العالمِ الضخمِ  
ومأوىً للصغار ولل كبار  
للفراشِ وللطيور وللجميعِ  
مسجدٌ للحبِ  
صوفيةً حد الصفاءِ

وكنيسةً فيها الشموع تلالأت لم تحترق  
فالمذنبون اذا ارادوا توبةً عند البحيرة  
طوحوا حجراً وناموا.....  
والبحيرةُ  
لم تنتظرُ مطراً  
ومازالت تغنى فى الطبيعةِ ما نحبُ  
ومازلنا نحبُ عطائها  
وحنينها للطينِ والأسماك  
ومازلنا نغنى عندها  
فيطير من فوق الضلوعِ الحزنُ  
يشرب ماءها  
ويعود مبتسماً جميلاً ساكناً  
هادئاً مترنحاً  
ويصير فوق ضلوعنا جبا

---

ما تحدث به قلبي

من وحل الجرح أسيرُ الى فرجى  
أكتب شعراً بطلاقة دمعٍ ودماءً  
أتأملُ سقفَ الغرفةِ بحراً  
للضوءِ النازفِ من جبهةِ مصباحي  
أشعرُ أن الغرفةَ قبرٌ  
أولهُ كلُ خطيئاتِ الماضى  
آخرهُ فردوسٌ  
من تعبٍ ونعاسٍ  
ومن الجرحِ أعيشُ بلا مرآةٍ سحرية  
أبصرُ كل الأشياءِ مجردةً  
الكرسى الخشبى وحيداً  
مثلَ عجوزٍ يسكنُ كوخاً  
بالقربِ من الغابةِ  
والشرشفُ تتعبه الأجسادُ البشريةِ لكن  
يبدو كالعشبِ الناعمِ  
الا أن العشبَ صباحاً ومساءً  
تبكى عيناه ندىً  
والكتبُ الرابضةُ من الاتربةِ على المكتبِ  
تتمنى الطيران بعيداً  
هى مثل جنودٍ أمروا  
بعد الحربِ بأن يبقوا  
دون رجوعٍ لقراهم..  
لا أياسَ من ذلك أبداً..

من وحل الجرح اللامندمل  
يكبر فى القلب الاحساس  
الاحساس بان الواقع ليس جميلا كل الوقت  
يكبر احساس الشاعر بالموت  
والموت حياة نبدوها بالأمس  
الاحساس بان الناس بلا موهبة تتر  
وبرابرة وشياطين على الأرض تصلى  
ليسوا كفئا أن يحتملوا فنا  
حين تنور مشاعره لحظة وحي  
او ساعة ضيق  
أن يحتضنوا عينيه الدامعتين الغامضتين  
ويولوه بصمت  
يكبر احساس الوحدة  
وسط جموع الناس  
يصغر حين يقلوا  
فى وحل الجرح أنام أنام  
ولست أمل  
أستيقظ ثم أسير أسير الى فرحى  
وأقابل امرأة فى منتصف الدرب تغنى  
أجلس أستمع اليها مرتاباً فيها مرتاب  
تفرح وتغنى أكثر  
فأحاول أن المسها  
فأراها قبل اللمسة بعض سراب  
وأسير أسير الى فرحى  
ألمح عشرين ربيعا  
فى هيئة شاب ينتهيان خريفا



يسقطُ عن عينيه الضوء  
تتحول بسمته تدريجياً حزناً  
يعطشُ بجوار النهرِ  
تتطايرُ خصلاتُ الشعرِ كأوراقِ شجيرة  
وأحاولُ أن اسقيه ليحيا عاماً ليس ربيعاً  
فيموت على الصخرِ المُثقلِ بالحلم  
وأسيرُ اسيرُ من الوحل  
أتكئ على عيدان الأملِ  
نحو الفرحِ الأبدى  
ليسَ معي  
خبزاً أو ماءً أو امرأةً  
ليسَ معي كراسةً شعرياً أو شعري  
ليسَ معي اسمي وصفاتي  
ما أملكُ بهذي الرحلةِ  
قلبي محمولاً فوق سحابِ الدمعِ  
والذكرى  
وثقَابَ مبتلةً  
وسجائرَ فَرْطاً في جيبي  
أملكُ عظامي اضرب هذي الارضَ بها  
- تتفجرُ سبلاً أسكلها  
أُرؤى منها -  
وأهشُ بها وجعي  
وأنام عليها  
تقتربُ الأرضةُ لكنّي  
لا أغمضُ جفنا حتى لا تأكلها  
والموت على بُعد ربيعين

أشعر أن الموتَ على بُعدِ ربيعين  
وعظامي ليست لتشقّ البحرُ  
كي يغرقَ خلفي  
قد وهنت من طول السفر  
الى اللاشئ الى الفرح الأبدى  
قد تعبت ...  
فأنا قد حمّلتُ عظامي  
كل شدائدَ وصفى  
الأمسَ وشمسى  
والريح العاصفَ والمطرا  
والثلجَ الساقطَ وذئاب الليل  
وخيالاتِ الارهاقِ من التعبِ  
حملتُ عظاميَ روحى  
لم ترفض أن تحمل كل الدنيا  
حتى أصلَ الى الفرح  
رفضت أن تحملَ قلبى  
تركته لامرأةٍ عندَ الشاطئِ  
لم أعلمُ  
الا حين تذكرتُ شفاهى  
فوق شفاه المرأةِ من فارقت ولم أبكِ  
وعرفت بأنى لن أصلَ الى الفرح  
الا لو عادت ومشينا نحن الاثنان سويا

---

نحو الدرب بقلبٍ واحد

---

## 5

### أغنية أبدية

" أناديتي "

سأكتبُ اسمَكَ الآنَ

فكمْ خبئتهُ زمنًا

لينموَ داخلِي

شجرا

فيثمرَ في دَمِي

شعرا

الى أن يلمسَ السطرا

ويعلنُ عنْ قدومِ الشمسِ

في علياءِ أوراقِي

تصلي المفرداتُ لهُ

لتدخلَ جنةَ الايقاعِ

أناديتي

أنا أحببتُكِ روحاً ترافقُنِي

بلا أنتِ

وأسستُ

علاقتنا

على الأحلامِ لا الصوتِ

لأنَّ الحبَّ مخلوقُ

ليكبرَ دونَ تشويهِ من البعضِ

فلسنا في مدىٍ اخرِ

فنحنُ هنا على الأرضِ

فعذراً يا حبيبتي

لأنى لم أقابلك  
بأى حديقه يوماً  
وكنا كالغريبين  
فى طرقات بلدتنا  
نرى بعضاً مصادفةً ونفترقُ  
فألتفتُ .. فلا أبصرُ  
عيونَ ملاكى الأرضى  
يلونُ رمشها الكحلُ  
فأعتدلُ  
وتلتفتينَ مسرعةً  
ثم يضيعُ وجهانا  
ويبقى للغدِ المجهولُ  
بنا أملُ  
فعدراً يا حبيبتى  
لأنى لم أهاتفك  
ولم أفعل  
كمن عَشِقُوا  
كتمتُ الصوتَ فى حلقى  
لأنى لم أُرِدْ حكياً  
كيلاً يأتى المملُ  
وبعد العشقِ نفترقُ  
أناديتى  
أنا عانيتُ من صمتى  
وعانى الصمتُ فى ورقى  
وعانيتُ من الأشعارِ تكتبنى وتفضحنى  
فهل سيجئُ ميعادُ

سيجمعنا بلا خوفٍ ولا خجلٍ ولا قلقٍ  
سيجمع بينَ كفيّنا  
وخطبنا وعينيّنا  
ورعشتنا ونشوتنا  
الى الأبدِ  
أيا سرى ويا روحى  
أنا أهديتُك جسدئ  
أنا أنتِ  
وأنتِ الأمسُ أذكرُهُ  
على أعتابِ أحلامى  
تنادينى شفاهُ غدى  
أناديتى ومالكتى ومملكيتى  
وحورى العينِ  
ونافذتى على فردوسى الأول  
وبنتُ النورِ والطينِ  
متى سأضمُك فى  
وأعبرُ بين نهديكِ بحرية  
متى سأكفُ عن بوحى لأوراقى  
متى سألونُ الليلاتِ بالقبلى  
وبالبارفانِ يخلقُ زهرةً أخرى  
تعطرُ جوَ أعماقى  
وكم من عمرنا باقى؟  
لتبقى بيننا الجدرانُ قائمة  
ويبقى البابُ موصودا  
ويبقى العشقُ مسجونا  
ونبقى فى ضلالِ الحبِ أعواما

فهل سنصيرُ عصفورينِ  
فى عُشِّ على الملاء  
أم قدرُ لنا  
أن نبقى مجانينا  
أناديتى وتجربتى وموهبتى  
أنا أحببتكِ روحاً ترافقتى  
بلا أنتِ  
ولكننى أريدُ الان أن  
تأتين الى المقهى  
أقابلُك  
كفا صوما  
تعبتُ أقولها صدقاً  
وأوقنُ أنكِ أيضاً  
تعبتِ !!

---

## أولُ البوحِ

كيفَ يمكنُ أن أعودَ لي  
 وأقودُ نفسيَ من يديها عابراً  
 وجعَ الدروبِ وذللها  
 وتقطعَ الأنفاسِ في رثتي  
 لأبلغَ ساحةَ البيتِ القديمِ  
 ثمَّ أدفعُ مقبضَ البابِ المعتقِ في الترابِ  
 ليلتحمَ الخيالُ الغضُّ مرتعشاً بأبعادِ المكانِ  
 وأعودُ طفلاً مُعلنأً عن اشتياقيَ بالبكاءِ بحضنِ أمي  
 فتضمدُ الغيماتُ بالحلوي.. أخبئها  
 تحتَ وسادةِ القطنِ التي احتملت حماقاتي  
 ولم تُبدِ اعتراضاً كلما شُنقت على حبلِ الغسيلِ  
 لكي تعودَ لزهوها الأولِ  
 كيفُ يمكنُ أن أعودَ من الأعاصيرِ التي ضربت  
 شجيراتِ بروحي  
 -منذَ خطِّ الله قسراً-  
 فوقَ خديِّ المضيئينِ ذقنا-  
 فمضيتُ مثلَ هشيمِ تذرؤه الرياحُ  
 لا حُكمَ لي

الا اتباعِ الدربِ يأخذنى  
من هنا حتى هناك  
ثمَّ يسلمنى هناك لمن سيأتى!  
ولم أكن أرتاح للغرباء يوماً مثل جدي  
كانَ بعضى ضائعاً  
وملامحي اختلفت تماماً  
كيفَ يمكنُ لي  
أن أقودَ دمي وقلبي في مظاهرةٍ  
سأحشدُها انطلاقاً  
من خُطاي الانَ لذلكِ الطفلِ الذى قد شاخَ  
من أثرِ الرحيلِ بداخلي  
أن أشدَّ يديه من جبِّ ذاكرتي العميقِ  
وأسأله  
أمازلتَ تذكرُ صورتي؟  
أم شوَّهتَ كالأرضِ من جُلِّ القنابلِ أُسْقِطتَ  
للصمتِ عن دمويةِ المرئي  
أمازلتَ تذكرُ كم حلمتُ بأن أغنى  
أو أبوحَ بأن أطيّرَ بأن أعودَ بأن أروحَ بأن أريحَ  
بأن أصيحَ بأن أئنَ لمن يئنُ بأن أراقصَ أيَّهنَ بأن أجنَ  
وأن أموتَ وأن أنامَ وأن أنظّمُ فى سلام  
هل نسيتَ أم اختلفتَ أم انتهيتَ  
أم امتلكتَ أم امتلكتَ أم التصقتَ بعشبةٍ فى القاعِ ذكرى  
فمُتَ تحتَ من اختناقِ البوحِ فيكِ وكنْتَ ابناً للظلامِ



يا طفلَ عمرٍ راحلٍ عنى ومنى

من أنا؟

من نحنُ يا أنتَ أو يا أنا المنسي؟

وجهانٍ مفترقانٍ فى السرِّ اللأبجدي

متَّحداً فى الظاهرِ العلني نمشى

نحو غايتنا وأين هي؟!!

وأين هو الهدف؟!!

صاحبتُ ما بعد عشرينى

وسرتُ فلم أجدُ

الا انطفاءَ الحبِّ

-والحبُّ أن تتنفسَ الأشياءَ حوليَ فى ارتياحٍ مطلقٍ-

فسقطتُ عند المنتصفِ

والمنتصفُ

ما لا أراهُ وقد يرانى

وما أراهُ ولا يرانى

فبحثتُ عنكَ لعلنى أرتاحُ حين أكونُ فيكَ .. تكونُ في

ومضيتُ أحشدُ ما تبقى من هشيمِ الروحِ والقلبِ

ودمى المراقِ

لينادىَ الدربُ الأخيرَ الواضحُ

ويقولُ هيا

لا تخفِ وسرِّ الئ

الان قد صالحتُ خطوكَ حين عانقتَ السَّربا

فيا طفلَ عمريَ كن أنا

لأكونَ في العشرينَ أو ما بعدها  
مثلَ النبي ولن أقولَ نبيا

## 7

ما تمَّ عزفه ولم يُغن

ومشيتُ فوقَ الضوءِ منتعشاً

لا وجهاً لخطاي

هو شدني من رحي العطشى

لأرى نباتَ الأرضِ

يوقظُهُ الندى

وأرى شجيراتِ المدى

يوقظنَ أبناءَ الرياحِ

وحدي يحدثني الصباح

عن الملائكةِ التي تغفو نهاراً

فوقَ أثداءِ السماءِ

جسدي أجمعه من الأزهارِ

والنخلاتِ والذرةِ النحيقةِ والثمارِ

فتطيرُ حولي كلما اقتربت

خطاي من المروجِ فراشةً

وتهمُّ أخرى بالقدوم كأنهنَّ جوارىَ السلطانِ

وأنا لك

والضوءُ يدفعُ كتلةَ الأحلامِ فيَّ اليكِ فانتظري

لحينِ أعودُ من فجري

مفعماً بالبرتقالِ وأوكسجينِ الله والنورِ

وأقولُ لصقَ جدارِ بيتكِ كم أحبكِ

تخرجُ الكلماتُ بالنعناعِ من رئينِ أينعتا فأثمرتا

وأمدُ حبلاً من دمي حتى دمكُ

تتأرجحُ الضحكاتُ طفلتينا

عليه فيضحكُ المارونُ

فتمتلئُ المدينةُ بالصغارِ وبالبنفسجِ حينُ نضحكُ

يتركُ الجندى - حينُ يُفرضُ حظرُ تجوالِ النهارِ -

عاشقينِ الى الحديقةِ يمشيان

ثم يعطى كل زوجينِ الزهورَ

وطلقةً محشوةً ذكري

يلبسُ الشحاذُ ثوباً فاخراً

يرتادُ مقهى المترفين يناقشُ الشعراءَ في ما يكتبونَ

وينفثُ التبغَ الثمينَ بغلظةٍ

اذ يقاطعه أحد

وستشترى البنت العرائسَ في المساءِ

تنامُ فوقَ أسرةِ القطنِ الخفيفِ

تنسى قطارات الجنوب ونومةَ المرحاضِ

وأحجارِ الرصيفِ

وحين نضحكُ سوف نعلنُ

عن حياةٍ رغمَ أوجاعِ المكانِ

ربما حسَ العجوزُ بنا

فعادَ لعامه الشعيرينَ بضعَ دقائقَ

ثمَّ أسلمَ روحه للموتِ منتشياً ونام

وحين نضحكُ تنجبُ الدنيا السلام

سأعيد طهوَ الأمنياتِ على لهيبِ الضوءِ

قبل بلوغى الحلمِ القريبِ

سيجئُ فوقَ الضوءِ فارسكُ النبيلِ

بلا سيفه والرمح

سيجئ قبضَ يديه غصنين من زيتونٍ فانتظري

على سلمِ الوقتِ المحاصرِ بالقنابلِ والأباتشي

لا تيأسي

ستشاهدين الضوءَ مهما

لَوْنَ البارودِ أعلاكِ اللازوردُ

ستشاهدين مثارَ نفعي

مهما تفشت في المدى الطيني

مجنزراتُ الجيشِ

سأقول لصقَ جدارِ بيتكِ كم أحبكِ

تخرجُ الكلماتِ بالنعناعِ والزيتونِ والعيشِ

وأعيشُ حراً من حديدِ الأمسِ

واذ متُ لصقَ جداركِ

او تحت شرفةِ داركِ

سيرى الجميع من الدماءِ يشعُ ضوءٌ تلو ضوءٌ

## قصائد نثرية

## 1

تشعلُ العجوزُ في الشارعِ  
أكياسَ البلاستيكِ والنفاياتِ  
غيرَ آبهةٍ بعالمنا  
ما يثيرُ دهشتي  
أنها تتشاجرُ كل يومٍ  
مع ابنها الكبير لأنه يدخنُ  
وفي البيتِ طفلةً  
قد تُضُرُّ بتبعه الأسود  
أقولُ في نفسي  
رئةُ العالمِ ربما  
تُلُفتُ نتيجةَ حرقك المتواصلِ  
فاصمتي لأنام



أحببْتُها  
مثلَ عصفورٍ صغيرٍ  
أحبَّ سمكةً  
حينَ كانت في الصباحِ  
تقفزُ خارجَ الماءِ  
وتعودُ ثانيةً  
في لحظةِ الخروجِ والدخولِ  
رأتهُ فوقها  
يحوِّمُ عشقاً  
أحبتهُ أيضاً  
بكى العصفورُ حينَ أدركَ أنه  
لن يستطيعَ العيشَ في الماءِ  
كذلكَ السمكةُ العاشقةُ  
ذاتَ صباحٍ  
هبطَ العصفورُ في البحرِ  
وعاشا العاشقانِ حبَّهُما  
حينَ أدركَ العصفورُ أن لا شيءَ غيرَ الموتِ  
سيفرِّحُ السمكةُ

عندما تحدّثنا  
 بالرسائل القصيرة  
 سمعتُ في الكلام  
 صوتَ البحر  
 كأنّ الموجُ يعلو  
 اذا سكتنا  
 وحين نكمل الحديث  
 يهدأُ مثلَ مدمنٍ  
 أدركَ المخدرُ  
 كانت رسائلها  
 شاطئً  
 ورسائلي  
 شاطئً آخر  
 وبين شاطئينِ من كلماتٍ  
 كانت مشاعرنا  
 كأسماكِ الميرو  
 تتحول الأنثى لذكرٍ  
 وقتما شاءت  
 كذلكَ الذكرُ

كان ينبغي أن يحدث بيننا هذا  
ليستطيع كلُّ منَّا احتلالَ الآخرِ  
وفهمه حتى النخاع  
ونصيرُ أصدقاءً أو أعمقُ

الشجيراتُ في الحقلِ تبكى  
 حينَ أعلنَ العصفورُ عن مقدمِ الفيضانِ  
 ظلتُ تعانقُ الأرضَ والطينَ  
 وكانت الأرضُ لا تستطيعُ التحركَ والفرازُ  
 وتسلقُ الحلزونُ لُبَّابَ طويلاً  
 السماءُ غيَّمتُ  
 كان صوتُ تهدمِ الأكواخِ والبيوتِ واضحاً كالرعدِ  
 أدركَ الفيضانُ تلكَ الأرضَ مندفعاً كعزرائيلَ  
 لكنه قبلَ أن يغادرَ القرى  
 تركَ الأرضَ التي أماتها  
 أكثرَ خصوبةٍ مما كانت عليه  
 لتبدأَ الحياةَ مرةً أخرى  
 من قسوةِ الموتِ  
 نجى الحلزونُ فرحاً  
 بصعودهِ الشجرةَ  
 لكنه  
 مات وحيداً  
 حين لم يجدُ أحداً

أن تدخلَ أنشى  
حياةَ شاعرٍ  
يقفزُ قلبُهُ فرحاً  
برؤيةِ الأصدقاءِ معجبينَ به  
ويعلقونَ دائماً لَهُ  
والفتياتِ يقتبسْنَ أقوالَهُ  
أن يصيرَ الجحيمُ مرئياً  
ويصبحُ الشعرُ وقتئذٍ  
خطيئةً لا تغتفرُ

ما تزالُ أُمي  
تقولُ في سرِّها  
ياربُّ احفظهُ  
من حجرتي في المدى  
أسمعُ صدى الأمنياتِ  
مثلَ رعدٍ تائهٍ في الأرضِ  
قبله كان برقٌ ما يلوحُ في الأفقِ  
انفجارٌ حينها في قلبها الأسمى  
جاءني عبرَ المحطاتِ القديمةِ والطرقِ  
ضوءاً يناشدني الرجوعَ

كَانَ جَدِي دَائِمًا  
 يَخَافُ عَلَي نَخَالَاتِهِ الْمَسِينَةَ  
 وَسَنَابِلَ حَنْطَتِهِ الذَّهَبِيَّةِ  
 يَكْرَهُ الرِّيحَ الَّتِي تَأْتِي  
 لِتَفْسِدَ الْحَقُولَ وَالْمَحَاصِيلَ  
 كَانَتْ الرِّيحُ فِي الْبَدءِ مَسْعُورَةً  
 لَكِنهَا هَدَأَتْ قَلِيلًا  
 عِنْدَمَا مَرَّتْ  
 ذَاتَ يَوْمٍ عَلَي سَطْحِنَا  
 كَانَ الثِّيَابُ عَلَي الْحِبَالِ مَعْلَقًا  
 اسْتَطَاعَ مَشَجَبٌ خَشْبِي  
 بِطُولِ اصْبَعٍ أَوْ أَقْلٍ قَلِيلًا  
 أَنْ يَحْمِيَ الْقَمِيصَ مِنَ السَّقُوطِ وَالثِّيَابِ  
 عِنْدَهَا .. كُسِرَتْ الرِّيحُ  
 عِنْدَمَا أَعْلَنَ الْمَشَجَبُ الْخَشْبِي  
 عَنِ قُوَّةِ جَدِيدَةٍ وَمَبْتَكِرَةٍ

أوتدرين يا حبيبتى  
 بين السماء والأرض غيمات كثيرة  
 عندما تسقط الملائكة  
 كل صباح  
 أثناء لعبة القفز والوثب والطيران  
 يستريحون عليها  
 فتسح الغيمة السماوية اللون  
 نتيجة أحذيتهم المليئة  
 بأتربة الكواكب الأخرى  
 وغبار الشمس وبرادة القمر  
 فتصبح مطراً  
 وتولد غيمة أخرى

نظيفة ونقية  
 كما يتوهمون  
 نحن نملؤها بغازاتنا السامة  
 اجعلى هذا الأمر سراً يا حبيبتى  
 كيلا ينقطع المطر



عندما أنام على الارض المبتلة بالندى  
حولى العشب هنا وهناك زاهيا  
كشراشف من حرير  
أنام مستقبلا خصلات الضوء المتطايرة  
من الساحرة العجوز  
أنام هكذا فاتحا ذراعي مثل صليب ..  
لا أرى غير أولاد السماء والعشب على الجانبين  
ومن حسن حظى  
أنى لا أستطيع النظر  
فى هذه الوضعية أسفلى ..  
عندما أنام هكذا  
أشعر بالراحة القصوى ولا أعرف السبب  
ربما لأن قدمى تعلو قليلا عن الأرض  
وربما لشيء آخر لم أكتشفه بعد

عندما  
 تدور إبرةُ الغراموفون  
 تنطلق الموسيقى حرةً  
 من سباتها العميق  
 كعصافيرِ صباحِ ربيعي  
 وتملاً المنزلَ الكبير  
 تفتح الجدةُ الشرفةَ المستطيلة  
 ثم تجلسُ تحت أغصان البرتقال والليمون  
 تودع الأمس مثلما تفعل من ستين ربيعا  
 عيناها الضيقتان  
 تلمعان بشدة  
 كأنها في حضرة الحبيب الشاب  
 الذي توفي منذ تسع سنين  
 ومن عباءتها الملونة  
 تقفز الحكايات خارجةً من عالمٍ الى عالمٍ آخر  
 ومن زمنٍ إلى زمن  
 ترويها لنا لندخل عالماً جديداً  
 ثم نصحو لندخل آخرا  
 جدتي قالت  
 هكذا هي الحياة

"حكاية كبيرة ومنها كل الحكايات"

أريحُ صدرى  
على سورِ شرفتنا  
ألقى التحيةَ والسلامَ على فتاتي

تريحُ صدرها

على سورِ شرفتها

فى المدينةِ الأخرى

تختفى البناياتُ فى المدى

رويداً رويدا

فأبصرها

تشاهدُ انعكاسَ البدرِ فى فجانِ قهوتها

تداعبُ خصلةً من شعرها

وتحتضن المسافاتِ بحثاً

عن المجهولِ

لم أكن أشعر

أننى أشاهدُ انعكاسَ البدرِ فى الفجانِ أيضاً

وأننى أداعبُ شعرَ ذقنى القصيرِ

وأحتضن المسافاتِ أيضاً

باحثاً عني

## 13

لم يكن اليوم الدراسي  
طويلاً أو مملاً وبطيئاً  
لكي أقفز من على السور  
هارباً كما يدعون من حصار الوقت والمدرسات  
كانت ست ساعات  
بدايةً من الساعة حتى الواحدة  
لم يكن طويلاً لأن كسر ساق الرشيقة  
أو لأصبح في أعين المارة فاشلاً  
أو ليبلغ المجهول أبي  
فأعاقب وقتها  
أشد العقاب من غير أن أسأل  
لماذا ؟  
لم يعرف أي شخص  
أنني أصبت بالغثيان حتى  
نزفت دماً  
ضربني الناظر ذو الكرسي والنظارة الكبيرة  
حين طلبت جواب خروج قانوني وعاجل



## ثلاث قصصٍ من المدى المبهم

### 1

#### حورية .. ملاكٌ غيرُ مُنزل

نسائم الصيفِ التي تأتي كعادتها كل مساءٍ لقريتنا المحاطة بالمساء والنخيل  
تنعشُ الزرعَ -الذي أنهكته الشمس طيلة النهار- والجالسين على المصاطب..  
نسائم الصيف هي طوق النجاة لكل الذين حفر الصيف في جباهم أخاديد تروى وتُروى بالعرق.  
في تلك الليلة القمرية دخلت النسائم لحجرتها في الطابق الثاني من بيتها القديم - أي المبنى من  
الطين والعرق-

دخلت بسهولة من خلال عينِ شباكها المفتوح دائما  
هذه العين التي تُذكّرُها بالطفل الذي أوجدها حين طيرَ من كفه الصغير حجارةً نحو الفراغ ولكنها  
أصابت زجاجَ شباكها وأخطأ الطفل العدمَ وحظه السيئ  
كانت حورية نائمةً على الحصير.. وجنتاها الورديتان لم تُبديا أي علامةٍ نفور  
من خشونة الحصير أو الناموس المتدافع من المجرى نحو شارعنا الذي كان نهايةً لبداية الحقول  
والمروج.

ثغرُها متبسّمٌ ومنبسّطٌ للغاية.. من المؤكّد أنها تحلمُ أن تلدَ البقرةُ في الصباح كي يمتلئَ الضرع  
باللبن حينها ستصنع القريشَ منه وتذهبُ مسرعةً لسوقٍ " الأربعاء " تبيعه للنساء  
الارستقراطية لتجنى القليلَ من المال ما يُمكنُها من شراءِ نصف كيلو من اللحم قبل أن تعودَ لمنزلها  
الطيني

كانت نائمةً بينما خصلات شعرها الحريرية تتحركُ بمنتهى المرح حين يمسهما النسيم البارد  
ساقها اليمنى تلتف بساقها اليسرى وفي هذه الوضعية تكون قدمها موجهةً للوجود وما به.. كأنها  
تلعن حظها وربما كان لا شيء

عفيفى جارها الشاب الذى يراقبها من شباكِ حجرته المقابلة لشباكها.

لكنّ ثمة فرقٌ بين المنزلين هذا طينىّ وذاك بالأسمتِ والحديدِ أى " مِسْلَحٌ "

كان يراقبها دائماً عندما تخلدُ للنومِ أو حين تهمُ بغسيلِ الملابسِ أو كنسِ الأرضِ الترابيةِ ورشها

بالماء .. لكن كثيراً ما يراقبها وهى نائمةً

كان يقول لأصدقائه فى الجامعة

" البنت بنت الفلاحة وهيا نايمة ملاك منزل من السما "

ما اقولوكوش على جسمها الفاير وشعرها الليل الحرير ! كانت دائماً حورية تتقلبُ جيئةً وذهاباً لا

تبقى على وضعٍ أكثر من نصفِ ساعةٍ كان هذا الأمر

يعجب عفيفى أو - للأمانة - يثيره أكثر فأكثر لكنها فى تلك الليلة لم تتقلب وظلت على جنبها

الأيسر .. كأنها تعبت من شئٍ ما أو كانت تريد أن تقول له كفى ..

كان مشدوها بها ومفتوناً وعاشقاً لها فى تلك الليلة بالأخص لدرجة أنه عزمَ على تصويرها

بهاتفه المزود بكاميرا عالية الجودة .. كان يلتهم لفافات تبغه واحدة تلو الأخرى. كانت هى

الأخرى جميلة حدّ الربيع .. ليست كأى مرةٍ سابقة .. شعرها الذى مشطته قبل نومها بالزيت

وظلته بالحناء منهدلٌ على جبهتها - فى كامل زهوهِ ومرونته - ماراً بحاجبيها ومن ثمّ اذنيها

ويبدو القرطُ فى اذنيها تحت الشعر كأنه البدرُ تحته الليلُ ..

والعباءة التى انحسرت الى ركبتيها أعلنت عن ولادةِ شمسٍ فى منتصفِ الليلِ

لم تكن حارقةً كشمسِ النهار بل كانت رقيقةً وورديةً .. شمسٌ كالتى تولد فى الفجر مفعمةً بالبرتقالِ

ورائحةِ الحياة

نعرها ينبسطُ أكثر فأكثر ابتسامتها كانت بمثابة مصيدةٍ لأى شابٍ لكنها أبداً لم تكن كتلكِ الليلةِ

السعيدة التى يعيشها عفيفى وتعيشها هى ربما فى حلم سعيد بل سعيد للغاية

مرت الساعاتُ بسرعةٍ فائقةٍ وفُتِحَ الميكروفون فى مسجد القرية ذى المئذنة العالية فانطلق صوت



قرآنِ الفجر يغمر القرية النائمة كأنه السيل الذي حجزه السدُّ فاتزاح السدُّ  
حينها خجل عفيفي من نفسه وكف عن تصوير حورية " الملاك المنزل " كما يلقبها عفيفي.  
أظن أنه اكتفى ولم يخجل فمن منتصفِ الليلِ حتى الرابعة صباحا يصورها بين الفينة والفينة لابد أن  
في هاتفه ما يقارب المئتين صورة لها وهي في وضعية نومها المدهش  
جاءُ الصباح وبدأت البقرةُ في الصباح كذلك الأوز والديكة  
استيقظ الجميع في همّة ونشاط  
مستقبلين الحياةِ بقلوبٍ مفعمةٍ بالأمل والفرحة والنعاسُ  
وبدأ الأطفال في الذهاب الى مدارسهم مخلفين ورائهم مثار النقع والضجيج  
وذهب عفيفي الى جامعته البعيدة وجمّع أصدقائه الثمانية  
ليريهم صورَ فاتنته " البنت بنت الفلاحة "  
ذهلوا جميعا ولم يتفوهوا بأى كلمة بل بأى حرف ظلوا هكذا لمدّة قصيرة  
وكان جمالها حوّلهم لتمثيل حورية  
نمتُ بعد الفجر مباشرةً  
واستيقظت على زعيقِ أم حورية..  
نظرتُ من شباكِ بيتي المجاور لبيتِ عفيفي المقابل لقطعةٍ أرضٍ فارغةٍ جوار بيتها  
لم تلتقطُ أذني من كلام المرأة العجوز الا  
" يا عيني عليكى يا بنتى  
الدكتورووور قال انها ماتت من عشا امبارح ..يعنى سرحتى شعرك ومُتتى يا نَصْرَى "

كانت كلماتها متقطعةً يتخلّلها النحيب والصراخ والتراب  
بينما كنتُ أنا مصدوماً ولم أنطق ببنت شفة اغرورقت عيني وقلت في قرارة نفسي مشتتلا وغاضباً  
" اه يا ابن ال... بتورى اصحابك صورة وحدة مكنتش نايمة دى كانت ميتة انت ابن .. حتى ولو

مكنتش تعرف "

وبكيتُ بعدها بشدةٍ وقلتُ بصوتٍ كدتُ أسمعه

"كنتي أكبر من الموت حتى لما جالك عرفتيه انك جميلة اوى .. فزادك جمال

انتى بس اللى قدرتى تعملى كدة يمكن عشان أمك اللى كنتى واخدة بالك منها ويمكن عشان ولا

حاجة "

## عرائس ديسمبر

عرائس السكر الحمراء التي احتلت مدينتنا في أقل من شهرٍ كانت السبب الرئيسي في الشجار الذي أدى الى خلاف بيني وبين أمير الشعراء أحمد شوقي وغيره من الشعراء والأدباء الكبار بدأت الحكاية عندما كنت كعادتي أتجول في طرقات مدينتنا ليلاً

أتأمل المشاة والشوارع التي طليت بأضواء المصابيح السهرانية دوماً على جانبي الطريق أغوص في الزحام لاسيما في الشوارع التجارية ك (الحسين) و (عدنان المالكي) أحاول أن أفنى روحي في أرواح الخلق وصولاً الى أوجاعهم وآمالهم

أفنيها في كل شيء علها ترتاح بالفناء والتوحد وتصير قابلة للمضي في طرق الحياة الوعرة الملائنة بالرغبات والمجهول كانت العرائس في كل مكان هنا وهناك ما من شبر الا وفيه العرائس الحمراء

أو كما يلقبونها (عرائس المولد)

أذكر أن الليلة التي تشاجرنا كلامياً فيها كانت من ليالي الشتاء حيث كنت منكمشا بداخل معطفي الأسود ,, أنفى أصبح لونه أحمرًا وكفى أيضا جميع المارة يرتدون المعاطف الثقيلة والقبعات الصوف وأصحاب العربات يغلقون الزجاج من شدة البرد القارص , كانت ليلة باردة جدا

مشيت واضعاً يدي الاثنتين في جيب بنطالي

أردد بعض ابيات من الشعر أو أحاول الارتجال

وان فشلتُ أبدأ في التأمل أو أقفز في ذاكرتي عارياً من لحظات ضعفي هذه

علني أجد المتعة في الذكريات والأمس

بدأ الضجيج يهدأ والمارة يرحلون الى منازلهم والشوارع لم تعد مكتظة

فاليئُ هو العاصم الوحيد من هذا البرد المتزايد  
قررتُ العودةَ الى البيتِ أنا ايضاً .. استدرتُ لأعبرَ الطريق  
فقابلت على الجانبِ الاخر ( فرشاً ) لبيعِ حلوى المولد (المولدِ النبوى الشريفِ)  
كان يوجدُ على الطاولةِ التى فى المقدمة تسعُ عرائسَ حمراءَ للبيعِ  
وكانَ ثمة رجلٌ يفاصلُ فى السعرِ ,, موقنٌ أنه كان  
يوذُ أن يشتريها لابنته أو لأحدِ صغارِ بيته وبينما كنت أراقبُ بتلهفٍ عمليةَ المفاصلةِ لأن الرجل  
كانت لغته رصينةً وقوية وكان يملكُ بلاغةً ولا أجمل  
ظهرَ خلفَ عمودِ انارةِ طفلٍ مهترئ الثيابِ يرتعشُ من البردِ القارصِ  
وكان حافيي القدمين جسده الصغيرُ منكمشٌ كان شبه عارٍ  
أدرتُ رأسى كلها اليه ولم تعد المفاصلة تهمنى بشئ  
نظرتُ فى عينيِ الطفلِ المشردِ لم يكن منتبهاً لى  
كان جلّ تركيزه على العروسةِ الحمراءِ الكبيرة على الطاولة فى المقدمة  
شعرتُ كأنه ابنٌ لملكٍ ضاعَ ملكُه وتشردت أسرته فى أزقةِ الحياةِ ودروبها الشاسعة  
وضاعت ايضاً فتاتهُ الصغيرة التى كان يلعبُ معها فى فناءِ القصر  
ومنذ انهيار مملكة أبيه وهو يبحثُ عنها لتؤنسَ وحدته القاسية  
شعرت مما رأيتُ فى عينيه من تركيزٍ ولهفةٍ شديدين أنه وجدَ مبعاه وفتاته على الطاولةِ الخشبية  
بدأ الطفلُ فى التقدمِ ببطيٍ وخوفٍ نحو (الفرش) حالماً بأخذِ حبيبتهِ الصغيرةِ تلك العروسةِ الجميلةِ  
التيابِ  
رأيتُ فى كعبِ قدمه اليمنى جرحاً كبيراً وكانت فجوةُ الجرحِ مسدودةً بالطينِ أحسستُ كأنه بركانٌ  
خَمَدَ وسييداً فى اطلاقِ الحممِ بعد حين  
كان شعرُه متسخاً وملبداً وشعرعروسته ناعماً متهدلاً  
من اخر الطريقِ كان شرطى المدينةِ يجول هنا وهناك رأيتُه يقترب أكثر فأكثر وقبل أن يصلَ الى  
الطفل الفقير الذى يحاول أن يقترب أكثر من معشوقته الشرية المسكرة

استدار الرجل الذى انتهى من المفاصلة متأبطاً أكبر عروسةٍ كانت هناك على طاولةِ العرضِ  
فى استدارته السريعة اصطدم بالطفل فطرحه أرضاً لم يُعِرْهُ انتباهاً ومضى بسرعة يبحث عن تاكسى  
يُقله لبيته

فى هذه الأثناء وصل الشرطى وكان فوق رأسِ الطفلِ  
ركله بقدمه ركلة قويةً فى قدمه الجريحة فثار بركانه وبدأ الدمُ فى التدفقِ وجرى الطفلُ بمشقةٍ حتى  
اختبئَ خلف مقلبِ قمامةٍ يبكى بصوتٍ لا يكادُ يسمع  
واضعاً يده اليمنى على بطنه لا اعرف لماذا ؟ ربما من الجوعِ وربما من ألمٍ ما  
ويده اليسرى كانت على كعبه النازفِ بغزارةٍ  
رحلتُ بعد أن أوقفت تاكسى وكان قلبى يتقطع مما رأيت لكننى فى رحيلى هذا كنتُ مؤمناً  
بأن قلبى قدَّ من حجرٍ

وايضاً قلبَ الرجل الذى اشترى العروسة الحمراء  
عندما دلفت الى حجرتى وفتحت جريدتى قرأتُ فى الصفحة الأخيرة هذه الأبيات  
(ولَدَ الهدى فالكائناتُ ضياءٌ \*\* وفمُ الزمانِ تبسمٌ وثناءً)  
بعدها مباشرةً نشبَ الشجارُ بينى وبين شوقى  
كان شجاراً كلامياً وكان لا يجيبُ علىَّ  
لكننى كنت فى حالةِ استغرابٍ تامةٍ هل لهؤلاء الشعراء والادباء قلوب نابضةٌ بالحنانِ والعطفِ  
والجمال كما يتوهمون ويوهموننا؟!!

فكيف يرون أمثال ذلك الطفل الفقير المشرد تحت مخالبِ ديسمبر  
كيف يرون هذه القطعة السوداء الماشية فى الشوارع العريضة الطويلة دونما وجهة  
ويمضون الى بيوتهم يشربون الشاي على مكاتبهم الثمينة  
وينظمون ويَشعرون فيُشعرون



لم تكن مادلين تعرفُ أى شيءٍ عنه سوى اسمه وكنيته

وبيته فى نفس القرية التى نسكنها

لكنها أحبتة رغم جهلها بأشياء كثيرة عنه .. كان قلبها المسيطر فى ذلك الوقت وعقلها كان لا مكانَ

له فى قطارٍ علاقتها الغربية نوعاً ما

جاء صوتٌ غليظٌ أظنه كان صوتُ أبيها يقطعُ السكينة التى كان شارعنا يغوص فيها ويطعنُ بحنجرتة

هدوءَ العصرِ

"عمك حنا شافك واقفه معاه على الكوبرى فى الصبح

مش قولتلك بلاش يا بنت ال...."

كان صراخُ مادلين أقوى من أن يفتت جبلا شاهقا ويزلزل الأرض

كان صوتها الباكي مثل نايٍ تنقطع القلوب له وتتشعر الأبدان

بينما كانت ضرباتُ الحزامِ الجلدِ تُسمعُ بوضوح على جسدها الناعمِ

مثل قطعة قماشٍ من حرير دمشقى فاخرٍ

لم يكن صوتُ أمها الضعيف قادراً على أن يغيّر شيئاً مما كان

كنت أسمع جملةً وحيدةً تلك التى استطاعت ان تفر الى مسامعى ومسامع الجيران

"حرام عليك يا ابو بيتر البنت هتموت .. وحياة العدرا والمسيح الحى كفاية"

مرّ عامان على هذه الواقعة

سافرتُ أنا الى المدينةِ لدراستي الجامعية حاملاً معي في حقائبِ الشباب  
ذكرياتي وكلّ شئ يخص القرية وشارعي الذي أفقده بشدةٍ كلما أخذني الطريق الى طريق  
وكلما ألهب الأسفلت قدميَّ دونما رحمة  
لكنني ظللت أحدثُ نفسي كل مساءٍ عن مادلين تلك الفتاة المسيحية الديانة  
كم كانت روحها نقيّة كالبئر وعذبةً كالنهر  
أتذكر عينيها الخضراوين اللتين كانتا تغوصُ في عينيَّ حبيبتها يوسف ذاك الشاب الذي لا  
أعرف ماذا حلَّ به الان وكيف يعيشُ في غربته القاسية؟!  
بعد أن طرده أبوه من البيتِ وأقسم أنه لن يدخله ثانيةً  
كنت شاهداً على حبهما كنت ألمحُ يوسفَ يمر تحت شرفتها  
عند السابعة صباحاً ويرفعُ صوتَ هاتفه ليصيح بالغناءِ  
تخرجُ راكضةً مخلقةً وراءها خصلاتِ شعرها التي  
أحس كأنها تريد أن تسبقها ولكن تظل في المؤخرة منهدلةً على ظهرها الجميل  
تخرج له بتي شيرت نصف كم أو ربع كم  
ذراعها الذي قدّ من حورِ عين كان ناصع البياض أملساً وجميلاً وفاتناً  
يتحدثان لمدةٍ لا تزيد عن عشر دقائق لكنّ حديثهما كان بلا صوت  
حديثٌ بلغةِ العيون والمشاعر الملتهبة  
رأيتها ذات مرة ترمي صورةً لها وضعتها بين مخالبِ مشجبٍ له  
وصلَ يوسفُ في ذلك اليوم قبل مواعده بساعة أي في السادسة صباحاً  
كأنه ينتظر صكّ دخوله الجنة أو شيئاً أهم  
ظل يخطو هنا وهناك تحت شرفتها محاولاً القبضَ على الصورة قبل أن تلمس الأرض  
وبالفعل قام بالتقاطها حرك شفتيه لها - أنا موقنٌ أنه قال لها أحبك -  
ثم رحل بسرعةٍ وكان سعيداً ومفعماً بالحياة والأمل  
لا أعرف لماذا أتذكر قصتهما هذه بعد مرور عامين كاملين لماذا هما بالذات؟



قالت لى فى يومٍ من الأيام مادلين  
عندما ركبنا الباصَ المتجه الى المدينة  
لم تكن لتقول لى أى شئ لكنها كانت تعرف أنى على علاقةٍ حسنة بيوسف  
"قلْ له أن أبى ان رآه تحت الشرفه ستحدثُ مشكله كبيره  
أنا أخافُ عليه جدا أحبه جدا لا اريد أن يمسه ضرر  
كذلك لا أريد لأبى أن يصيبَ بأى أذى  
لأن يوسفَ سيتشاجر معه ان وجبَ الأمرُ وربما نشبَ بينهما عراكٌ بالأيدى "  
كانت كلماتها تزلزلى لأنها ممتلئهٌ بالحبِ والخوفِ الشديدين كيف يمكن لبنتِ كمدلين أن  
يضيعَ حبها هكذا؟!  
عندما عدتُ للبيت انتظرت المساء وقابلتُ يوسفَ وقلت له ما قالته حبيبته الصغيرة اغرورقت  
عيناه بالدموع وشحب وجهه الحسن وشعرتُ برعشه انتابته  
لاحظتها عندما كان يهم فى ارتشافِ الشاى الذى أعدده له  
مرت الأيامُ سريعاً سافر يوسفُ للعمل فى دولةٍ من دول الخليج  
قبل أن يسافرَ ببضعِ ساعاتٍ لأن طائرته كانت بعد الفجر بقليل  
كان تحتَ شرفتها حوالى الساعة الواحدة صباحاً والشارعُ كله غارقٌ فى نومٍ عميق هذا هو حال  
شارعنا ومن ثمَّ قريتنا  
تكلما كثيرا أيضاً بشفاهما التى عشقت هذه اللغة  
كاد قلبه أن يخرج من جسده ويطير ثم يحط على صدرها  
أنا موقنٌ أن ذلك ما حدث ولكن لم أراه بل شعرتُ به  
طوّحتُ له مشجباً اخرًا كان اخر مشجبٍ تبقى فى شرفتها  
وضع ورقةً بين مخالبه القوية ثم طيره ثانيةً بقوةٍ  
فسقط بجوارها التقطته وفتحت الورقة وبكت بحرقه ومرارةٍ ودهشةٍ  
سافر العاشقُ القروى وكنت مذهولاً بانتها هذه العلاقة - الشبه محرمه - فى قريتنا

كان على أن أذهب في الصباح الباكر الى المدينة كي أبتاع مجلات أول الشهر وكانت  
مادلين تذهب كل صباح الى المدينة قابلتني صدفةً أيضاً ولكن كان في القطار هذه المرة  
جلست في المقعد المقابل لمقعدى ظلت تبحث عن يوسف في عيني

في شخصيتي

كانت تبحث عنه في لغتي عندما يذكر أحدا النبي محمد وأعقب ب ( صلى الله عليه وسلم )

ظلت هكذا طويلاً ثم تكلمت بصوتٍ منخفضٍ جدا وقالت لي

"يوسف عطاني ورقة مكتوب فيها كلام كثير باينله قرآن وكاتب فوق

دى اية الكرسي ودى سورة الفلق

وكاتبلى فى الاخر اقرهم عشان ميحصليكيش حاجة

أنا اطمنت لما قرتهم أوى بس عايز أسالك سؤال هوا صحيح انتوا بتكرهونا؟!" !

اغرورقت عيناي بشدةٍ وشعرت بقشعريرةٍ كأنها شحنةٌ كهرباءٍ

توترت وأخيراً بكيتُ بحرقَةٍ

أعطتني مادلين منديلاً وقالت بأسفٍ شديدٍ

"مش قصدى والله حاجه دا بابا بيقولى كده علطول "

أجبت على سؤالها بعد نوبةٍ البكاءِ

أمادلين يا صديقتي يوسف لم يكره أحد قط

ولم أكره ايضاً أنا أحد كان يحبك ويحب الجميع

توقف القطار وكلّ منا سار الى وجهته وعدت أخيراً الى البيت عصراً نمتُ نوماً عميقاً

وحلمتُ بكوابيسٍ عدة

واستيقظت في العاشرة مساءً. سمعتُ ضجيجاً في الشارع وصوتَ نسوةٍ (يُعدّدن) فنظرتُ من شبك

بيتي

فرايتُ عرباتٍ شرطةٍ كثيرةٍ ومحققين وقساً من الكنيسة وشيخَ المنطقة كلّ

مجتمعين أمام بيتِ أبو بيتر لم أعرف ماذا حدث

لكننى سمعتُ أُمى فى الداخلى تقولُ لأبى  
" لِقوها شانقةً نَفسها فى اوضتها يا اخويا  
ولقوا ف جيب بجامتها ورقة مكتوب فيها قرآن ..  
سمعت ان ابوها ضربها بالقلم وهيا ميتة لما شاف الورقة"

\*\*\*\*\***تمت بحمد الله**\*\*\*\*\*